التراجم بالإيجاز والاختصار مقارنة بالتراجم الأخرى، ولاسيما تراجم الشخصيات السياسية والعسكرية من المماليك، هذا فضلاً عما غلب على أسلوبه من السجع والمحسنات اللغوية التي تؤدي أحياناً إلى تغطية الحقائق بغطاء من التجنيس والتطريز وما إلى ذلك بحيث يصعب على الباحث الاهتداء إلى كنهها. غير أن المعلومات التي أوردها الصفدي كانت في غاية من الأهمية للدراسة، وذلك لأنه دونها كشاهد عيان وإن انفرد ببعضها، لذا نقل عنه مؤرخون آخرون، ويبدو أن عامل المكان والموقع كان له أثره في تحديد رؤى المؤرخ في ترجمته لشخصيات عصره، إذ إن أغلبهم كانوا من الذين نبغوا واشتهروا وتوفوا في بلاد الشام، حيث كتب المؤرخ مصنفه. لذا فان هذا الكتاب يعدّ من المصادر الأساسية للتعرف على أثر أعلام الكرد ونشاطاتهم في بلاد الشام وقد انتفع به في معظم فصول الرسالة.

أما كتاب (فوات الوفيات) للكتبي ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م فيعد من المصادر التي شكلت معلوماتها التاريخية مادة نوعية رئيسة للدراسة، فعلى الرغم من أن المؤرخ المذكور نقل كثيراً من كتاب (ذيل مرآة الزمان) لليونيني، ولكنه ترجم لطائفة من علماء الكرد. وأورد معلومات جديدة عنهم، ويلحظ أن المؤرخ وانطلاقاً من كونه أديباً، أفرد صفحات كثيرة من كتابه هذا لترجمة الأدباء، منهم أدباء الكرد، ولاسيما الذين تدرجوا في مدارج الشهرة ببلاد الشام.

ويعدّ كتاب (طبقات الشافعية) للأسنوي ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م من كتب الطبقات المشهورة التي اعتمدت عليها الدراسة، فهو يتضمن تراجم علماء وأعلام من الشافعية، وبشكل أوسع مما نجده عن العديد من المؤرخين الآخرين تقيدوا بقيدي المكان والزمان. وبما أن أغلب الشخصيات الكردية الذين ساهموا في إثراء الحياة الحضارية عصرئذٍ والذين تخصهّم هذه الدراسة كانوا من الشافعية، لذا تطرق لهم هذا المصدر وسجل عنهم معلومات تاريخية قيمة يندر وجودها لدى المؤرخين الآخرين، ويستدل من سياق تراجم أعلام الكرد التي دونت في هذا المصدر. إن المؤرخ جمع معلوماته من مظان من التاريخ العام، فضلاً عن بعض الكتب من التراجم، غير أنه قلما يشير إلى المصادر التي استقى منها معلوماته، وتجدر الإشارة إلى أن ترجمة بعض أعلام الكرد وردت في هذا المصدر مختصرة وغير كاملة.

ويتصدر كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن الحجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) أهم المصادر التي ترجمت لأكبر عدد من العلماء والشخصيات الكردية الذين تشملهم الدراسة وتنحصر سنوات وفاتهم بين (٧٠٠-٧٨٤هـ/١٣٠٠-١٣٨٢م) . وقد أفادت هذه الأطروحة من كافة أجزاء هذا السفر التاريخي الذي كان يعدّ فتحاً جديداً في مجال علم التراجم من خلال ترجمة أعيان التاريخ الإسلامي لقرن بحد ذاته[1]، ووفر هذا المصدر مادة تاريخية رصينة تغطي القسم الأكبر من الحقبة التاريخية التي تشملها الدراسة، وذلك بإيراد عدد وافر من التراجم لعلماء الكرد الذين نبغوا في مصر وبلاد الشام. ويلحظ أن تراجم أبن حجر لأولئك العلماء تطابق – أحياناً - نظيراتها في كتاب (الوافي بالوفيات) و (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي، مما يدل على أن الأول نقل عن الثاني بعض التراجم ووثقها، ودعم مصداقيتها، ويمكن اعتمادها قرائن ومعلومات تاريخية تدعم جوانب حضارية كثيرة من هذه الدراسة. كما وترجم ابن حجر في كتابه هذا لطائفة من أعلام الكرد لا نجد لهم ترجمة عند غيره، فهو الذي انفرد بذكرهم وتوثيق سيرتهم، ولعله استقى معلوماته من مصادر فقدت –نسبياً-، ولكنه غضّ الطرف عن عدد من علماء الكرد ولم يترجم لهم، على الرغم من انهم كانوا من مشاهير القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

وربّما يرجع ذلك إلى انهم عاشوا بمصر، ونبغوا هناك، ولم يكونوا من علماء الشام، حيث الميدان الرئيسي الذي وجة ابن حجر جهوده في تدوين أخبار الأعيان إليه. إلاّ أن هذا لا يعني انه لم يترجم لأحد من أعلام الكرد في مصر، بل يلحظ أنه أحياناً اعتمد النقل من المصادر الأخرى بخصوص ترجمة علماء عاشوا خارج بلاد الشام. وعلى هذا فان المادة التاريخية التي يوفرها هذا المصدر تشكل جزءاً أساسياً من المعلومات الحضارية التي يدور حولها محور هذا البحث.

---

[1] Hamilton Gibb. Islamic Biographical Literature. (H.M.E.), p. 56.

ب. كتب التاريخ العامة

يعنى هذا النمط من المصادر بذكر الأحداث التاريخية إما وفق السنين، او عن طريق العرض الموضوعي، قد ربط بعض من هذه المصادر بين العرض الزمني للأحداث وتراجم الأشخاص، ويعد هذا النوع الأخير اكثر أنواع التدوين التاريخي –في مجال التدوين العام- انتشاراً في العصر الملوكي، وأهم ما يمتاز به هذه المجموعة من المصادر فائدته المزدوجة لهذه الدراسة التي تشمل توثيق الأحداث، ويترجمه أعلام الكرد ممن ساهموا في الحياة الحضارية.

ومن المصادر الأساسية التي أعنت جوانب البحث كتاب (ذيل مرآة الزمان) لليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) الذي يتضمن معلومات في غاية من الأهمية عن الكرد في مصر وبلاد الشام، حيث تطرق إلى ذكر مشاهيرهم، مبيناً مختلف جوانب نشاطاتهم وفعالياتهم الحضارية والسياسية.

في ضوء استقراء ما ورد في هذا المصدر بلغت معارفنا عن دور الكرد ولاسيما في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي إلى مستوى لم يسبق له نظير، وتكمن أهمية المعلومات المتوفرة فيه في أن مؤلفه كان معاصراً واعياً لغالبية ما دونه في ثنايا صفحات كتابه. وفضلاً عن ذلك فانه جمع معلومات كثيرة من مصادر أخرى محلية، وتمكن من تبويبها وتوظيفها في كتابه، وتمتاز ترجمتها للشخصيات الكردية بكونها مفصلة وتشتمل على ذكر أصولهم وانتمائهم الجغرافي، ولكن الذي يبدو هو أن منهج المؤلف يبعث على الملل لدى القارئين لأنه وفي سياق عرضه للحوادث التاريخية والوفيات حسب السنين قد يعالج – أحياناً - ترجمة بعض أعلام الكرد، فقد يتطرق لنشاطات الأعلام في معرض حديثة عن سنة معينة، لكنه لا يتقييد بهذه الحدود الزمنية، بل يتجاوز كلامه حدود تلك السنة دون أن يحدد تاريخاً دقيقاً لذلك، وقد ترد هذه المعلومات مبتورة، ويجد الباحث تكملتها في صفحات أخرى، ولكن على الجملة هذا الكتاب فريداً بمعلوماته وتفاصيله.

وأما كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء الأيوبي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) فيمتاز بدقة معلوماته وتركيزه – أحياناً – على جوانب حضارية مهمة، فضلاً عن معاصرة المؤلف لغالبية ما دونه من المعلومات التي تختص الدراسة. ومما ازداد من أهمية الكتاب كون المؤلف إحدى الشخصيات الكردية الذين شاركوا بجد وفعالية في تأطير تاريخ بلاد الشام ومصر إبان عهد المماليك البحرية، وعلى وجه الخصوص منطقة حماه التي كانت يحكمها الملك المؤيد أبو الفداء، إذ تطرق إلى التاريخ الحضاري للمنطقة، وأشار في السياق إلى بعض الأعمال الحضارية التي أنجزت خلال مدة حكمه على حماه. ومن هنا تكسب هذا الكتاب قيمته وأهميته التاريخية التي قد لا تتوفر في مثيلاته من المصادر.

ويعد الكتاب (عيون التواريخ) للكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) من المصادر المعتبرة لهذه الدراسة كونه يعالج عدد من أجزائه حوادث لها صلة مباشرة بموضوع الدراسية، كما تحوي تراجم لأعلام من الكرد كانوا من ذوي المهارات الإدارية والعلمية، غير أن الباحث وقعت عينه على معلومات غير قليلة في هذا المصدر مأخوذة من كتاب (ذيل مرآة الزمان) التي يمكن أن تعد توثيقاً وتوكيداً لما ورد في الأصل، فضلاً عن هذا دون الكتبي حقائق وافية جمعها بالاعتماد على مصادر عدة مقروءة ومسموعة مع الإشارة إلى أن اكثر تراجمه للشخصيات الكردية تخص الذين كانوا من المشاهير في بلاد الشام، ويصدق هذا على حلّ معلوماته الحضارية.

ومن المصادر الأساسية التي انطوت على معلومات تاريخية نوعية وموثوقة كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، الذي اختص بمعلومات تاريخية تفصيلية تتعلق بموضوع هذه الدراسة. لاسيما الجزء الأخير من هذا الكتاب، إذ أن مؤلفه كان شاهد عيان لأكثر ما دونه وعلى وجه خاص فيما يتعلق بمدينة دمشق، ووفر في هذا المجال حقائق يمكن أن توصف بأنها فريدة وذات مدلولات حضارية تساهم في هيكلة هذا البحث، وقد أفادت الأطروحة كثيراً من المعلومات التي سجلها ابن كثير في سياق الحوادث التاريخية التي رتبها على وفق السنين، أولى فيها المؤلف عناية فائقة بالجوانب الحضارية في نحو الادارة والقضاء والتدريس. وما إلى ذلك عن طريق هذا المصدر تم التعرف على أصول بعض علماء الكرد ونسبهم القبلي، وسجل بهذا الصدد معلومات تمتاز بالخصوصية، لأنه لم يكن يسرد الحوادث سرداً بل كان -أحياناً- يحلل بعض القضايا ويبدي رأيه فيها، إلاّ أنه

-وكدأب طائفة من المؤرخين كلما يقترب من الأحداث زمنياً يعتمد على نفسه في تسجيل الحوادث التي وقعت وهو من شاهديها ومعاصريها، كلما يهتم بالعموميات وتسجيل الأحداث السياسية والخوض في تفاصيل متعلقة بها ما تقلل فيه المعلومات الحضارية.

ويعد كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) من المصادر الرئيسية لبعض جوانب هذه الدراسة. إذ على الرغم من أن مؤلفه لا يعد من المعاصرين لحقبة البحث لكنه وبفضل جهوده في تتبع المعلومات والاطلاع على مصادر كثيرة، خلف لنا ثروة ثمينة من المعلومات التاريخية تخص مصر بالدرجة الأولى، وبخلاف بعض مصنفّي المصادر المعاصرة له. اهتم المقريزي كثيراً بتسجيل الحوادث وفق منهج الترتيب الزمني، وعالج هذا الجانب تفصيلاً إلاّ أن معلوماته التي تخص اكثر الشخصيات الكردية الذين ورد ذكرهم في الكتاب تعد غير كاملة، نظراً لأنه لم يترجم لهم ترجمة وافية، بل اكتفى بالإشارات إلى نشاطاتهم، ولا سيما الإدارية منها ضمن الحوادث وفي كل سنة على حدة، وبهذا نجد أن المعلومات المتعلقة بمن أشار إليهم من الولاة الكرد وتحديد المدة الزمنية لحكمهم –على سبيل المثال- كانت مبتورة، وذلك بسبب تجزئة مجمل تلك النشاطات ضمن السنوات التي شهدت ظهور هؤلاء الشخصيات على الساحة في مصر.

جـ. تواريخ المدن والمصادر الموسوعة

تتضمن هذان النمطان من المصادر التاريخية معلومات لها خصوصياتها وقيمتها لهذه الدراسة، إذ تحتضن معلومات حضارية تخص المدن فضلاً عن النظم السائدة عصرئذٍ. وهذا ما يشكل القاسم المشترك بين المصادر التي تدور مادتها التاريخية حول أحوال بعض المدن وتطوراتها السياسية والحضارية. ومن بين المصادر التي تمتاز معلوماتها التاريخية بنوع من الشمولية والموسوعية كتاب (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء بلاد الشام والجزيرة). لابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) إذ أفاد البحث من المعلومات التي أوردها المؤلف بشأن النواحي العمرانية والعلمية في حلب ودمشق. ومن إشاراته إلى عدد من أعلام الكرد وعلمائهم الذين نبغوا في بلاد الشام أواخر العصر الأيوبي بداية العهد المملوكي، وانفرد ابن شداد بإيراد معلومات نادرة فيما يتعلق بأكثر هؤلاء العلماء في التدريس ببعض المدارس، ولكن الذي يؤخذ عليه اختصاره الشديد في إيراد بعض المعلومات بحيث لا

تتجاوز طائفة منها نتف قصيرة. ومع ذلك فان لإشاراته أهمية بالغة. وذلك نظراً لمعايشته الأحداث ومشاركته الفعلية فيها.

أما كتاب (التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فيعد من المصادر التي تنعكس فيها خبرة مؤلفيها ودرايتهم، فقد كان العمري يعمل في ديوان الإنشاء، ورصد معلومات تاريخية يندر ورودها في مصادر أخرى.

ويحتوي على مادة تاريخية مهمة عن الكرد، غير أن المعلومات التي تخص موضوع هذه الدراسة قليلة من حيث الكمية ولكنها جديدة من حيث النوعية، وأفادت الأطروحة في النواحي المتعلقة بالإدارة والنظم واصبح مصدراً للمؤرخين الآخرين.

وقد نحا القلقشندي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م) في كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) منحى العمري في إيراد المعلومات المتنوعة والموسوعية، ولكن بتفصيل اكثر ومنهج أوضح، بحيث يعد من اشهر الموسوعات في بابه وما يزال يتبوأ مقامه الفذ في تراث الأدب العربي[١]. فقد انتفعت الدراسة بما ورد فيه من المعلومات التي تمتاز بالتنوع والثراء، والتي لا تزال منهلاً عذباً يرده الباحث عن المعرفة -وعلى وجه الخصوص- في العصرين الأيوبي والمملوكي، فيجد فيه ما يبل الغلة ويشفي الظمأ، إلى جانب إفادة البحث بمعلوماته التاريخية والجغرافية والإدارية، وما يتعلق بجوانب أخرى من النظم والحضارة. واستقى البحث منه تعريفاته وسلك المنهج الذي سار عليه القلقشندي في ترتيبه للوظائف الإدارية والديوانية والدينية لأنه من أكثر المؤرخين إطلاعاً على نظم المماليك وجهازهم الإداري.

ومن المصادر الموسوعية الأخرى التي تمتاز بالدقة وسعة المعلومات كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) الذي يعرف بخطط المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). وعلى الرغم من انه من المصادر المتأخرة، ولكن تمكن مؤلفه من جمع أشتات من المعلومات تتعلق بتاريخ مصر الإسلامي وجغرافيتها وحضاراتها، ونظمها وإداراتها فتفوق وصفه للقاهرة على أي وصف آخر[٢]، وقد أفرغ المقريزي من تأليفه بحدود سنة (٨٤٠هـ/١٣٣٦م) ويذكر أنه اعتمد إلى حدٍ كبير على كتاب صنفه قبله مؤرخ يعرف بالأوحدي من دون أن

---

[١] ينظر محمد عبدالله عنان، ابو العباس القلقشندي وكتابه صبح الاعشى، بحث ضمن كتاب (ابو العباس القلقشندي وكتابه صبح الاعشى)، (القاهرة : ١٩٧٣)، ص١٣.

[٢] مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار (بيروت: د.ت)، ص١٧٣

يشير إليه أو يعترف بأخذه منه[1]، وقد وفر المقريزي حقائق مهمة تخص تاريخ الكرد في إطار المجتمع الإسلامي في عصره.و تمتاز هذه المعلومات بأنها تحوي مادة حضارية نوعية مستقاة من مصادر أصيلة اعتمدها المقريزي. والظاهر أن عدداً من تلك المصادر قد ضاع بدليل أن جوانب من الإشارات التاريخية التي وردت في كتاب(الخطط) فيما يتعلق بهذه الدراسة - تعد فريدة، لذا شكلت أحد الركائز الأساسية لبعض محاور الأطروحة، ولكن يلحظ أن المقريزي يتحدث -أحياناً- عن مسائل وشخصيات تاريخية دون أن يضعها في إطارها التاريخي من حيث التحديد الزمني مما يصعب على الباحث التدقيق منه.

ويقدم النعيمي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م) في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) معلومات تاريخية لا غنى عنها تتعلق بأثر عدد من الشخصيات الكردية في النواحي العمرانية والعلمية ولا سيما النشاط التدريسي الذي مارسه علماء الكرد في مدارس دمشق خلال حقبة البحث، استقى النعيمي اغلب المادة التاريخية ذات الصلة بموضوع هذه الأطروحة من مؤرخين آخرين أمثال ابن شداد والذهبي. وإلى جانب الصفدي وابن كثير، ولكن منهجه في الترتيب والتنسيق أعطاه أهمية علمية، فضلاً عما تميز به المؤلف من الأمانة وتحري الحقائق، والوقوف على تواريخ مدارس دمشق إلى عصره، وأشار إلى عدد من المدارس كانت في حقبة البحث ربطاً وخانقاهات تحولت إلى مدارس فيما بعد.

وحفظ النعيمي - فضلاً عما أشرنا إليه- معلومات مقتبسة من بعض المصادر تعد الآن في عداد الكتب المفقودة. وبهذا يعد هذا المصدر موسوعة للمدارس والحياة العملية في دمشق منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي والى وفاة المؤلف.

---

[1] محمد مصطفى زيادة، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، (القاهرة : ١٩٤٩م)، ص ١٠.

د. المصادر البلدانية والرحلات

على الرغم من أن طبيعة موضوع هذه الأطروحة لا يتطلب بالضرورة الاعتماد على عدد كبير من المصادر البلدانية والرحلات، إلاّ أنه تمت الاستعانة بعدد منها لتحديد مواقع بعض المدن التي ورد ذكرها في ثنايا البحث. وقدم بعضها الآخر معلومات موثوقة تتعلق بالجوانب الحضارية سجلها الرحالة والبلدانيون كما شهدوها أو سمعوا بها.

وفي مقدمة هذه المصادر كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) الذي يحتوي على معلومات كثيرة عن المدن والبلدان الإسلامية. استفاد البحث منه لتعيين مواقع عدد من المدن كما تستحصل منها على معلومات تاريخية تخص البحث انتفع بها في الفصل الأول.

وأما كتاب (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) لابن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) فقد يتضمن معلومات مأخوذة من معجم البلدان، غير أن المؤلف سجل بجانب ذلك مشاهداته فضلاً عن بعض المعلومات التاريخية، واعتمد على البحث في تحديد الموقع الجغرافي لبعض البلدان غير المشهورة التي لا يوجد ذكرها عند اغلب البلدانيين الآخرين.

ويتضمن كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) المشهور بـ (رحلة ابن بطوطة) لأبن بطوطة اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) مادة تاريخية وجغرافية نوعية تتعلق بمصر وبلاد الشام، حيث زارهما المؤلف إبان حقبة البحث. ودون مشاهداته وسجل معلومات حضارية ذات الصلة بالعمران والحياة العملية وسكان بعض المناطق. واستقى البحث من هذا المصدر معلومات قليلة، ولكنها مهمة وموثوقة ساهمت في إغناء بعض جوانب الدراسة.

٢. المراجع

اعتمدت هذه الدراسة إلى جانب المصادر السابقة عدداً من المراجع التي تتفاوت في صلتها بالموضوع والنهج الذي اتبع فيها. ولكن تنوع ثقافة مؤلفيها ومصادرهم واطلاعهم الواسع منح طائفة منها ميزة ومكانة علمية رفدت جوانب عديدة من البحث بمعلوماتها، ولا سيما فيما يتعلق بتوثيق بعض معلومات المصادر وتنقيتها وغربلتها، فضلاً عن اراء وتحليلات مؤلفيها.

ويعد كتاب (خطط الشام) لمحمد كرد علي من المراجع المهمة في تاريخ بلاد الشام. حيث زودا هذه الدراسة بمعلومات جدية عن جوانب من النشاطات العمرانية لعدد من الشخصيات الكردية في دمشق وحلب ومدن آخرى في بلاد الشام. ونظراً لان المؤلف استند في اغلب هذه المعلومات إلى مشاهداته وملاحظاته الشخصية والبقايا الاثرية، لذا يمكن عدّ معلومات هذا الكتاب أصيلة وفريدة أعانت على تعرف بعض خفايا الأعمال العمرانية التي كانت على يد شخصيات كردية إبان العصر المملوكي.

وأما كتاب (تاريخ المماليك البحرية) ل (على ابراهيم حسن) فكان من أوائل المراجع التي عالجت تاريخ تلك الحقبة من الحضارة الإسلامية. ويشتمل على معلومات تتعلق بالنظم والإدارة المملوكية اعتمد عليها البحث وعلى وجه الخصوص في الفصل الثاني.

ويقدم كتاب (عصر سلاطين المماليك والإنتاج العلمي والأدبي) لسليم محمد رزق معلومات تاريخية كثيرة مستقاة من المصادر الأصلية شفعت بتحليلات واستنتاجات المؤلف الذي قسم كتابه إلى عدة أجزاء مستقلة، فصل الكلام في كل منه عن الجوانب العلمية والأدبية التي شاركت فيها أعلام من الكرد وأشاد بأثر عدد قليل من المشاهير منهم.